المصطفى ساخراً مستهزئاً وقد ظن أن الأمر بات بيده ، واليوم يقضي على محمد وبالتالي على الدعوة كلها ، قال أبو جهل : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم فَجُعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بُعِثْتُم من بعد موتكم ، ثم جُعِلَت لكم نار تحرقون فيها[1] .

سمع النبي ﷺ قول أبي جهل ، فخرج عليه الصلاة والسلام وهو يتلو قوله تعالى : « يس ، والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم ، تنزيلَ العزيز الرحيم لتُنْذِرَ قوماً ما أنذِرَ آباؤهُم فهم غافلون ، لقد حَقَّ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ، إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون ، وجعلنا من بين أيديهم سَدّاً ومن خلفهم سَدّاً فأغشيناهم فهم لا يُبْصِرون » .

وقال ﷺ لأبي جهل رداً على قوله واستهزائه وسخريته : « أنا أقول ذلك ، أنت أحدهم » . وأخذ الله عز وجل على أبصارهم عنه ﷺ ، فلا يرونه ، وألقى الله عليهم جندياً من جنوده اسمه النوم « ولا يعلم جنود ربك إلا هو » جعلهم في سلاسل لا يستطيعون الحراك ، ومنعهم الابصار ، وأعماهم بدون عمى ، ومنع عنهم السمع من غير صمم .

وخرج رسول الله ﷺ بكل عزة وافتخار واعتزاز بالله ، وبمنتهى الطمأنينة بالله ، وجعل ينثر التراب على رؤوسهم ــ وهو يتلو الآيات الأولى من سورة يس ــ فلم يبق منهم رجل إلا ووضع النبي ﷺ على رأسه تراباً ، ليعلموا وتعلم قريش معهم أموراً ثلاثة :

١ ــ لقد خرج النبي الكريم وهو في غاية الهدوء والأمن ، لم يفر منهم ، ولم يهرب مسرعاً ، بل تمهّل فهو مع حليف لا يغلب ، إنه مع الله تبارك وتعالى .

---

(١) قول ابي جهل في ص : ٣٥٦ من الجزء الاول في السيرة النبوية . وفي الطبري ، ج : ٢ ، ص : ٣٦٩ .